الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
ولايـة قسنطينة
مديرية الشؤون الدينية والأوقاف
- المجلس العلمي -

الموضوع: ف/ي خطبة الجمعة ليوم: 17 نوفمبر 2017 م.

العنف: أسبابه، وعلاجه

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد حمداً يوافي نعمه, ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك اللهم لا أحصي ثناءاً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله خير نبي أرسله، أرسله الله إلى العالم كله بشيراً ونذيراً, أوصيكم أيها المسلمون ونفسي المذنبة بتقوى الله، قال تعالى:.
﴿يا أَيُّها الَّذِين آمنُوا اتَّقُوا اللّه حقّ تُقاتِهِ ولا تمُوتُنّ إلاّ وأنتُم مُّسْلِمُون﴾ [آل عمران : الآية 102]
أما بعد:
مما ولج صدري كثيرا هذه الأيام هو قضية العنف التي تسرت في مجتمعنا في شتى الميادين لا أكاد أستثني أحدا منه إلا ما رحم الله، ولا شك أن لهذا الأمر أسبابا آلت إلى هذه لنتائج الحتمية،وقبل أن نلج في موضوعنا ينبغي علينا أن نسأل عن حقيقة العنف.
العنف أيها الأخوة الكرام: هو نقيض الرفق، كما ذكر ابن منظور وغيره، وكل ما في الرفق من الخير، ففي العنف من الشر مثله، وبِضِدِّها تتبيّنُ الأشْياءُ، كما قال الشاعر.
ولعل أبرز أسباب العنف قلة الصبر لدى المسلم، والتسرع في الأمور،فكان حريا به أن يصبر حتى يتبين خطؤه من صوابه، وكذلك الجهل بعواقبه وآثاره،فربما لا يدرك الإنسان ما يترتب على ذلك من الضرر في الدين والدنيا،في وهمه أن العنف دال على الغيرة على المحارم، ويحصل هذا لبعض مَن ينكرون المنكر، فتراهم ينكرون بعنف وغلظة وشدة، ويرون أن هذا خير لهم، ومنها التأثر بالأصحاب والأقران، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلِ».رواه الترمذي في السنن، وقال حسن.

إضافة إلى أن هناك مفاهيم مغلوطة، فالرفق والعنف قد استغلهما بعض الناس استغلالاً غير صحيح،وأخطأ بعض الناس في فَهْمهما، فمن ذلك وَصْفُ الإسلام بالعنف والغلو والتطرف، وهذا قد كثر في الآونة الأخيرة في وسائل الإعلام غير المسلمة، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وينبغي أن يُعْلَم أن غير المسلمين لا يرضون عن المسلمين أبدًا، والمسلمون عليهم أن يعلموا هذا ويدركوه، ولكن هذا لا ينفي معاملتهم بالحسنى، فعلينا أن نحفظ حق الله عز وجل فيهم، وليعلم كل مسلم أن أعداء الدين يبحثون عن أخطاء المسلمين لينفروا الناس من الإسلام قال تعالى: ﴿ودُّوا لوْ تكْفُرُون كما كفرُوا فتكُونُون سواءً ﴾ (النساء : الآية 89).
فقد كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعنون في عرضه صلى الله عليه وسلم ويتهمون زوجه عائشة بما برأها الله عز وجل منه فكيف في زماننا، وفعلوا تلك الأفاعيل في تشويه صورة المسلمين، ومع هذا ينبغي أن تستمر الجهود لا قتلا عما بذره أولئك،وما غرسوه في نفوس الناس في العالم من تشويه سمعة الإسلام وإلصاق تهمة الإرهاب به.
أحبة الإيمان: علاج العنف في الحقيقة من المواضيع المهمة التي ينبغي التحدث فيها والتنويه بها؛لأنها كلمة مجملة يستعملها كلٌّ فيما أراد،فمن أعداء الإسلام مَن يصفون الإسلام بالعنف والقسوة إلى آخره،ويبنون على هذا تشكيك الأمة في دينها وثوابتها ومسلماتها، والذي يعالج هذه القضية يعالجها بالموقف الشرعي، فإن دين الإسلام دين عدل في الأقوال والأعمال قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [سورة الأنعام : الآية 152]
أيها الأخوة الكرام: الغيرة مطلوبة في قلب المسلم، ويجب أن يكون في قلبه غيرة لله وإنكار لمحارم الله، لكن هذا الإنكار وهذه الغيرة يجب أن يكونا بضوابطهما الشرعية، لا بالأهواء، وإذا نظرنا إلى العنف وجدنا أن القرآن والسنة يبغضه أيما إبغاض، فإن الله أمرنا بأن نقول ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة : الآية 83]
وقال ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران 159)
أيها الإخوة العنف لا يرافق الداعي إلى الله، يقول صلى الله عليه وسلم: «إِنّ الرِّفْق لا يكُونُ فِى شىْءٍ إلاّ زانهُ ولا يُنْزعُ مِنْ شىْءٍ إلاّ شانهُ». رواه مسلم في صحيحه.
وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم في وصية لأمنا عائشة رضي الله عنها وأرضاها: «يا عائِشةُ ارْفُقِى فإنَّ اللَّهَ إذا أراد بِأهْلِ بيْتٍ خيْرًا دَلَّهُمْ على بابِ الرِّفْقِ».رواه أحمد بسند صحيح.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ رجُلا شكا إلى رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قسْوة قلْبِهِ فقال لهُ صلى الله عليه وسلم: « إِنْ أردْتَ أنْ يلِينَ قلْبُك فأطْعِمِ الْمِسْكِينَ وامْسَحْ رأْسَ الْيَتِيمِ». رواه أحمد بسند صحيح.

وتظهر رحمته صلى الله عليه وسلم عندما رُمِيت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في عِرْضها، وتكلم الناس فيها شهرًا، وكان عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين هو من يُروِّج لذلك، فيبْلُغ الكلامُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، يبلغه ذلك في حق زوجه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها، فما يتكلم صلى الله عليه وسلم بشيء في حقِّها، وما رماها صلى الله عليه وسلم بشيء مما يتكلم به الناس، إنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتأذى من ذلك، ويُرى ذلك في وجهه صلى الله عليه وسلم، وما قال لها إلا كلمات يسيرة، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عائِشَةُ، إِنّهُ بلغنِي عنْكِ كذا وكذا، فإِنْ كُنْتِ بريئَةً، فسيُبرِّئُكِ اللَّهُ، وإِنْ كُنْتِ أَلْممْتِ بِذنْبٍ فاسْتغْفِرِي الله وتُوبِي إِلَيْهِ، فإِنَّ الْعبْد إِذا اعْترف ثُمَّ تابَ تابَ اللَّهُ علَيْهِ» ، ولما نزلت براءتها من عند الله عز وجل، قال لها صلى الله عليه وسلم: «أَبْشِرِي يا عائِشَةُ، أَمَّا اللَّهُ فقدْ برَّأَكِ» رواه الشيخان، وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الآيات من سورة النور في براءة أمنا عائشة رضي الله عنها: ﴿إِنَّ الَّذِين جاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تحْسبُوهُ شرًا لَّكُم بلْ هُو خيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [سورة النور : الآية 11] إلى آخر الآيات. قالت أم عائشة: يا عائشة، قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحمديه. فقالت عائشة رضي الله عنها: والله لا أحمده، إنما أحمد الله الذي أنزل براءتي.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن العنف في معاملة الحيوان ويأمر بالرفق به، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ كتَبَ الإِحْسانَ على كُلِّ شيْءٍ، فإِذا قَتَلْتُمْ فأَحْسِنُوا الْقِتْلة، وإِذا ذَبَحْتُمْ فأَحْسِنُوا الذِّبْح، ولْيُحِدَّ أَحدُكُمْ شَفْرتَهُ، فلْيُرِحْ ذبِيحتهُ».رواه مسلم.)

وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن الغلظة والفظاظة والعنف في معاملة الناس عمومًا، وفي معاملة الحكام خُصوصًا، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مُبيِّنًا أن العنف في معاملة الحكام مُؤدٍّ إلى عواقب وخيمة لا تحمد في الدنيا ولا في الآخرة: «مَنْ أراد أنْ ينْصح لِذِي سُلْطانٍ لا يُبْدِهِ علانِيةً ولكِنْ يأْخُذُ بِيدِهِ، فيخْلُو بِهِ، فإِنْ قبِل مِنْهُ فذاك وإِلاّ كان قدْ أَدَّى الَّذِي علَيْهِ» (السنة لابن أبي عاصم 2/ 273، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغلظة والشدة في معاملة الحكام.

وحُكِي أن رجلاً أغلظ في نصيحته لأحد أمراء بني العباس، فقال له: يا هذا، قد أرسل الله عز وجل من هو خير منك إلى من هو شر مني، أرسل موسى إلى فرعون فقال: ﴿فقُولا لهُ قوْلًا لّيِّنًا لّعلّهُ يتذكّرُ أوْ يخْشى ﴾ (طه: 44) وذا قد يكون ما فيه من الخطإ،فربما أضربها لسلطان.

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه لابنه عبد الله: ما الرفق؟ قال: تكون ذا أناة فتلاين الولاة. قال: فما الخرق؟ يعني الحمق. قال: معاداة إمامِك ومناوأة من يقدر على ضررك..

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي قبائل العرب ، ويتلو القرآن عليهم، فمِن قَابِلٍ ومن رادٍّ، وهو مع ذلك صابر محتسب، ويأتيه ملك الجبال يستأذنه أن يطبق عليهم الأخشبين بمكة، فيتأنى رجاء أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئًا، والله يقول له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [آل عمران : الآية 128] لما جاء معاوية بن الحكم إلى المسجد ليصلي وشمت العاطس، فسَكَّتَه الصحابة بالإشارة إليه، فلما سلم قال: فدعاني صلى الله عليه وسلم بأبي وأمي ما رأيت معلمًا مثله، والله ما ضربني ولا كهرني ولا شتمني ولكن قال: «إِنّ هذِهِ الصّلاة لا يصْلُحُ فِيها شيْءٌ مِنْ كلامِ النّاسِ، إِنّما هُو التّسْبِيحُ والتّكْبِيرُ وقِراءةُ الْقُرْآنِ». رواه مسلم.

فيجب على الداعي إلى الله أن يكون رَفِيقًا في دعوته بعيدًا عن العنف حتى يُقْبِل الناس عليه ويسمعوا منه ويُصْغوا إليه، فإن كان غليظ الطبع سَيِّئ الخلق، سريع الانفعال لم يتمكن من إيصال كلمة الحق إلى الناس وعقولهم..

والرفق مطلوب للمعلم في تعليمه، فإذا كان رفيقًا استفاد الطلاب من علومه وسألوه وناقشوه، واستفادوا منه، وإن كان ذا عنف فَرُّوا منه ولم يُقْبِلوا عليه، والرفق مطلوب مع العمال ومع الخدم، يقول أنس رضي الله عنه: خَدَمْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ، وَلاَ: لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلاَ: أَلاَّ صَنَعْتَ. رواه البخاري في صحيحه.

والرفق مطلوب مع الجار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ.....» رواه الشيخان في صحيحيهما.).

والرفق مطلوب مع الأبوين والعنف حرام معهما قال تعالى: ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْ هُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ الإسراء : الآية 23]

والرفق مطلوب مع البائع والمشتري: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»(رواه البخاري في صحيحه.

والرفق مطلوب مع الأولاد ، كما في قصة تقبيل النبي صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين وحمله أمامة، وقوله للأعرابي: «أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ" رواه مسلم في صحيحه.

والرفق مطلوب مع الزوجة ومع النساء عموما وأنهن خلقن من ضلع أعوج، وأن أعوجه أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، ولا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلقًا رضي منها خلقا آخر.

والرفق مطلوب مع الزملاء والأصدقاء والأصحاب حتى تعمهم المودة، والرفق مطلوب مع إمام المسجد، فعليه أن يرفق بالمصلين ولا يطيل عليهم...

والرفق مطلوب من الشركاء، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص : الآية 24).

والرفق مطلوب من الإمام برعيته ويكون ذلك بنصحه وتوجيهه وقيامه بالحق وعدم العنف معهم وألا يحملهم ما لا يطيقون، كما أن على الرعية أن يعاملوا ولاتهم بالرفق والنصيحة الهادفة بطرقها الخاصة....

فالكلام عن الرفق والعنف ذو شجون؛ أي: يجلب بعضه بعضا، ومن الأمور المهمة التي يجب أن يعلمها كل مسلم، وعليه أن يعلم أن أعداء الإسلام نسبوا الإسلام إلى العنف، والإسلام منه براء، وأن الجهاد إنما شُرِع لإزالة العوائق والحواجز لإيصال كلمة الحق للنفوس، وما شُرِع الجهاد سَفْكًا للدماء والإضرار بالآخرين، والصحابة لَمَّا فتحوا البلاد كانوا يعرضون على أعدائهم الدخول في الإسلام أو الجزية، فالإسلام لم يأت لسفك الدماء، وإنما جاء لإقامة العدل، وبث الأمن والطمأنينة في نفوس الناس ، لا لإرهابهم، أقول قولي هذا واستغفر الله.